مطالبة الحكيم الأخيرة: مهمة إيران في العراق ... التخريب من الداخل بالتنسيق مع الأمريكان

11-8-2005

محمـد القيسي: كاتب وباحث من العراق

ما يقوم به أتباع إيران الذين سيطروا على مقدرات العراق في ظل الاحتلال يكشف بشكل واضح حقيقة الدور الخفي للنظام الإيراني الذي يريد أن يبتلع العراق ويثبت حقيقة وجود الفرس في أرض الرافدين...وانطلاقاً من تلك الأهداف الإستراتيجية، فإن إيران التي اشتركت مع الأمريكان في الحرب ضد العراق، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، فإنها عبر أتباعها ومن دربتهم لتنفيذ مخططاتها ضد العراق تستغل ظروف المواجهة وانشغال الشعب العراقي وقواه الحية في رصف صفوفهم لدعم زخم المقاومة، من أجل تحقيق ما تصبو إليه للفوز بأكبر جزء من الغنيمة.

لقد سبق لهنري كيسنجر وزير الخارجية الأميركي الأسبق أن كتب في مذكراته (من يريد السيطرة على الأمة العربية والإسلامية عليه أن يدمر إرادة الأمة العراقية فهي الحلقة الرئيسية فيها). وما ذكره هنري كيسنجر لم يكن غائبا عن الإدارة الأميركية حين كانت منكبة للتخطيط لاحتلال العراق في محاولاتها الخائبة لتدمير بلد يمتلك حضارة عمرها سبعة آلاف سنة. ولابد أنهم قد اهتموا بالسؤال الدائم الذي يقول لماذا بقي العراق كما هو والعراقيون كما هم لم يتغيروا أبدا ولم تتغير هوية هذا البلد ولم يتأثر دوره، رغم ما تعرض له على مدار التاريخ من غزوات من مختلف الإمبراطوريات الطامعة من يهود وتتار وفرس، حيث فشلت جميع المشاريع التي حاولوا فرضها عليه؟.

لذا فقد كان معروفاً، منذ البداية، أن مشروع الأمريكان لاحتلال العراق والسيطرة عليه لا يمكن أن يتم لهم من خلال حملة عسكرية فقط دون أن تتوفر له عوامل كثيرة أهمها استخدام إمكانيات أطراف عديدة، محلية وإقليمية ودولية، كون العراق ليس بلدا عاديا كسائر البلدان حيث جربت أقوام ودول عدة السيطرة عليه ولم تفلح في تحطيم إرادة أبناءه. فكل الوقائع تشير إلى أن عملية الغزو واحتلال العراق قد ساهمت فيها إطراف عديدة حين استنفر الأمريكان خصوم العراق وفي تنسيق مستمر من أجل إتمام عملية الاحتلال وتثبيت السيطرة على العراق وتقاسمه كغنيمة. وفي مقدمة هذه الأطراف اليهود الصهاينة الساعين للسيطرة على أمتنا والمدفوعين بالثأر لسبي اليهود في بابل على يد الملك نبوخذ نصر، وكذلك لكونه كان يشكل تهديدا حقيقيا على مستقبل وجود كيانهم في فلسطين المحتلة. والطرف الآخر هم الإيرانيون التي دمرت إمبراطوريتهم الفارسية على أيدي العرب والمسلمين، ولهذا فهم يريدون الثأر لذي قار والقادسية ونهاوند وانتصار العراق عليهم في حرب استمرت ثمان سنوات، وما زالوا يعتبرون العراق هو عدوهم الأول. وليس هناك ثمة غرابة في مثل هذا التحالف والتنسيق بين هذه الإطراف المذكورة مهما كلفهم ذلك من تنازلات لبعضهم البعض لتحقيق أهدافهم المشتركة، لأن الأمر لا يتعلق بالعراق وحده كما أشار هنري كيسنجر في مذكراته وإنما هو مفتاح السيطرة على كل مقدرات الأمة العربية ومن ثم الإسلامية . .

والحقيقية الثابتة الآن أن دور الآلة العسكرية الأميركية الموجودة في العراق قد تم تحييده إن لم يكن ماضيا إلى التلاشي تماما عما قريب، حيث أدرك الأميركيون مبكرا أنه لم يعد ذي جدوى تثبيت المشروع الأميركي ومرتكزاته بآلتهم العسكرية بسبب قوة المقاومة وضراوتها، وهذا ما تطلب توظيف طاقات الأطراف التي ساندت مخططهم بشكل أوسع وبشكل يكون فيه التخريب والأذى أكبر بل ويسبق العمل العسكري بكثير في تأثيره، عبر إطلاق يد تلك الإطراف لتفعل فعلها طالما أن الأمور محسوبة وكل شيء مسيطر عليه (Under control) كما يقولون، لخدمة الهدف الرئيسي وهو إحكام السيطرة على العراق وتقاسم الغنيمة.

قد يستغرب البعض كيف لإيران أن تشترك مع الصهاينة والأمريكان في تنفيذ هذا المخطط وهم الذين يرددون ليل نهار ويعلنون عدائهم لأميركا وخصوصا أنه تجري اليوم المزيد من الحملات الإعلامية المتبادلة بين الطرفين وإطلاق أنباء عن بوادر مواجهة وحرب وما إلى آخره من فرقعات؟ فالحقيقة أن هذا هو جزء من مخطط استخدام الآلة الإعلامية من أجل التمويه والتضليل وخداع الرأي العام. إذ هناك شواهد كثيرة على التعاون الإيراني الأميركي الصهيوني خصوصا أثناء الحرب العراقية الإيرانية وفي عز التطرف الإيراني المعلن في عدائها للغرب عندما كان الخميني زعيما لإيران، حيث كانت المساعدات الفنية والاستطلاعية والعسكرية

الأميركية المباشرة تقدم لإيران يوميا، ومنها على سبيل المثال تزويد الاميركان لإيران بصور الأقمار الصناعية للقطعات العسكرية العراقية وتحركاتها، بل إن أميركا أوعزت لإسرائيل وجنوب إفريقيا بتقديم قطع غيار للطائرات الإيرانية والدبابات والمدفعية، ووصل الأمر إلى قيام أميركا بتقديم إمدادات عسكرية مباشرة لإيران عرفها الجميع بعد كشف فضيحة إيران غيت .

وخلال الحرب العدوانية على العراق في عام 1991 نسق الأمريكان مع النظام الإيراني لكي يتم السماح للطائرات الأميركية بالهجوم على العراق عبر الأجواء الإيرانية وفتح المجال الجوي الإيراني لعمليات قوات العدوان مقابل عدة مليارات من الدولارات دفعها حكام الكويت، حيث كان العراق قد ركز دفاعاته الجوية غربا وليس على الجهة الشرقية المحاذية لإيران التي لم تخصص لها أية دفاعات جوية عراقية فاعلة. وهكذا عندما بدأت الحرب، شنت قوات العدوان المشتركة أول هجوم على العراق حين دخلت 500 طائرة مقاتلة الأجواء الإيرانية وانقضت من شرق العراق على الدفاعات الجوية العراقية ودمرتها تماما، وكان هذا أحد الأسباب الإستراتيجية المهمة لتحطيم القدرة الدفاعية للقوات العراقية، والتي لولا التعاون الإيراني لما استطاعوا تحقيقه.

إن مبدأ "كل شيء تحت السيطرة" يعد واحدا من أهم المبادئ التي تعتمدها الإستراتيجية الأميركية في تنفيذ مخططاتها فهي تتعاون مع الشياطين ومع أعدى الأعداء من أجل تحقيق الهدف طالما أن الأمر Under control ، ويلاحظ المتتبع أن إطلاق يد إيران وأعوانها في العراق يجري بالتزامن مع أمرين آخرين: أولهما، الحديث عن انسحاب عسكري أميركي من العراق سواء كان ميدانيا، أي إلى خارج المدن، أو انسحاب جزئي أو كلي. وثانيهما، تصاعد حدة المواجهة الإعلامية "المفتعلة" بين الأمريكان والنظام الإيراني فيما يتعلق بموضوع تطوير المفاعل النووي الإيراني. والمتتبع للأحداث يجد بأن قوات الاحتلال الأميركي التي دخلت بغداد يوم التاسع من نيسان عام 2003 قد أغمضت عينيها تماما عن الحدود الشرقية للعراق مع إيران وتركتها مفتوحة كي تتيح لإيران الدخول بكل ثقلها إلى العراق. ومنذ ذلك الحين، تحولت أرض العراق إلى ساحة تمارس فيها إيران كل ما يحلو لها من عمليات تستهدف العراق وشعبه وبكل أشكالها الإجرامية لنهب البلاد وتمزيقها وشرذمتها وضربها في الصميم.

وقد وظفت إيران كل طاقات الخونة والمرتزقة والحاقدين والطائفيين، وكذلك المرجعية الشيعية، التي تقف على رأسها عناصر إيرانية، والتي شكلت تكتلا سياسيا إيراني التوجه والأهداف هو "الائتلاف العراقي الموحد"، هدفه الرئيسي هو ربط العراق بإيران الفارسية وعزله عن محيطه العربي، حيث يحسب الشيعة المرتبطون بإيران أن العراق غنيمة يجب الاستئثار بها. وربما هذا ما يدعو الأمريكان إلى إطلاق تحذيرات بين فترة وأخرى لتذكير الآخرين بأن الأمور بيدها، أخرها هو ما جاء على لسان وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد عند زيارته الأخيرة للعراق ليؤكد للأطراف المعنية بأن كل شيء تحت السيطرة، وأن أميركا لا تأبه بماهية الدستور العراقي المقترح وما هو محتواه حتى لو أدرجت فيه شتى النصوص والفقرات الشاذة، بما فيها اعتبار أن العراق مكون من العديد من القوميات بما فيها القومية الفارسية، لأن ذلك بالتأكيد يصب في مصلحتهم، طالما أن الخطة تسير بنجاح من أجل إقامة مشروعهم الذي بات يرتكز على أساس تمزيق العراق وتمزيق شعبه لأجل إضعاف هذا البلد ومسخه وجعله بلا حول ولا قوة، ولا تقوم له قائمة إلا بإرادة الأميركان والأطراف الإقليمية الشريكة معهم في الغنيمة وكل حسب دوره، بحيث يصبح العراق طبقا للأمريكان مجرد أرض تضم حقولا للنفط تشفط منها الشركات الأميركية الشرهة مقابل مكافآت مجزية لحراسها من الأتباع أو الذين ساهموا في إنجاح هذا المشروع .

إن عبارات رامسفيلد لإبراهيم الجعفري حول علاقته بإيران هي للتذكير بأن الأمريكان هم الأسياد، وما إيران إلا شريك تابع، فأنجزوا المهمة أيها الصغار ولا يهمنا ما ستكتبون في دستوركم أو ما هو شكله أو مضمونه.. هذا ما أراده رامسفيلد وهي عبارات قالتها زيارته ولم ينطقها لسانه . ويلاحظ أيضا أن نغمة الحديث عن التخطيط لانسحاب أميركي من العراق تتصاعد بشكل طردي مع عملية التخريب في الداخل التي يتولى القيام ببعضها أتباع إيران، والتي يبدو هذه المرة أنه قد خطط لها بعناية لمحاربة العراق والعرب والمسلمين عبر هذه الأدوات التي هيأتها منذ زمن ليس بقريب، حيث تزداد على الجانب الآخر حدة الحديث عن مشكلة المفاعل النووي الإيراني بالتزامن مع إيغال الفرس في تنفيذ جريمة تمزيق العراق . لقد أصبحت اللعبة مكشوفة، إذ إن الصفحة التالية من مخطط الاحتلال باتت واضحة المعالم وهي المزيد من التخريب والتمزيق للعراق، وأن الأمر الذي تتولاه إيران وأتباعها بالتنسيق مع الأمريكان يعني التسريع في الانسحاب الأميركي (الهروب) بعد أن يصبح البلد ممزقا إلى أشلاء. و

قد عبر إبراهيم الجعفري عن جوهر هذه الخطة حين قال بعد لقائه مع رامسفيلد ردا على سؤال حول موعد انسحاب قوات الاحتلال من العراق وسرعة تحقيق ذلك: "هذه السرعة فيها وجهان: الإسراع في إعداد دورات مكثفة وتجهيز وتدريب القوات العراقية، أما الوجه الثاني فهو التخطيط مع القوات المتعددة الجنسيات لأن تتم عملية الانسحاب كلما اندفعت القوات العراقية بكفاءة لملأ هذا الفراغ"، فملأ أي فراغ يقصده الجعفري غير المزيد من التفريس لعراق العروبة والإيغال بتمزيقه!!.

إن ما يقوم به أتباع إيران الذين سيطروا على مقدرات العراق في ظل الاحتلال يكشف بشكل واضح حقيقة الدور الخفي للنظام الإيراني الذي يريد أن يبتلع العراق ويثبت حقيقة وجود الفرس في أرض الرافدين، وآخرها النص في الدستور بأن القومية الفارسية هي إحدى مكونات الشعب العراقي. وهو يكشف لأبناء العراق، وأبناء الأمة الإسلامية، حقيقة دور النظام الإيراني في الحرب والعدوان على العراق ودعم الاحتلال ومشروع المحتلين ومرتكزاته في تدمير العراق وإضعافه وتمزيقه وتغيير هويته. تلك هي الأسباب التي دفعت بالنظام الإيراني لبذر عوامل الفتنة والشقاق وإطلاق الدعوات المشبوهة التي يروج لها عملاءه وأتباعه والانفصاليين لإقامة فدراليات لتقسيم العراق ولتعم فتنة التقسيم بما يحقق أحلام الفرس للعودة إلى السيطرة على أرض الرافدين.

وانطلاقاً من تلك الأهداف الإستراتيجية، فإن إيران التي اشتركت مع الأمريكان في الحرب ضد العراق، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، فإنها عبر أتباعها ومن دربتهم لتنفيذ مخططاتها ضد العراق تستغل ظروف المواجهة وانشغال الشعب العراقي وقواه الحية في رصف صفوفهم لدعم زخم المقاومة، من أجل تحقيق ما تصبو إليه للفوز بأكبر جزء من الغنيمة.